في هذا العدد

الهزيمة الحزيرانية والاستعمار الاستيطاني

في خطاب التنحي أطلق الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر اسم النكسة على هزيمة الخامس من حزيران / يونيو ١٩٦٧. ولم يكن الاسم الذي اختاره عبد الناصر عفو الخاطر، فالكلمة كانت تحايلاً على الواقع ورفضاً للاعتراف بحقائقه. وهنا يكمن الفارق الكبير بين العبارة المطابقة "النكبة" التي صكّها قسطنطين زريق للدلالة على الكارثة التي حلت بالفلسطينيين والعرب في سنة ١٩٤٨، وبين الحيلة اللغوية التي لجأت اليها الأنظمة من أجل تفادي الاعتراف بالهزيمة.

١٩٦٧ لم تكن نكسة، وإنما هزيمة كبرى سمحت لإسرائيل باستئناف العمل النكبوي في فلسطين والمشرق العربي، وجاءت وفاة عبد الناصر في أيلول / سبتمبر ١٩٧٠، والفشل العربي في تحويل حرب تشرين الأول / أكتوبر ١٩٧٣ إلى حرب تحرير للأراضي المحتلة منذ سنة ١٩٦٧، ليُعلنا أن النكبة مستمرة، وأن فلسطين تعيش في عين عاصفة اقتلاع جديدة تهدد ما تبقّى لها من وجود.

مرت أحداث كثيرة وحروب طاحنة بعد الخامس من حزيران / يونيو، لكن السمة العامة التي هيمنت على المرحلة في المشرق العربي هي فقدان البوصلة، وولادة نمط جديد من الديكتاتوريات اجتث شعبوية الناصرية ومشروعها الوطني والاجتماعي، لمصلحة استبداد سافر لم يبدأ مخاض أفوله الطويل والدموي إلاّ مع اندلاع الثورات العربية في نهاية سنة ٢٠١١.

وإذا كان الفلسطينيون قد دفعوا ثمن زمن الهزيمة الحزيرانية كثيراً من دماء أبنائهم، فإن نضالهم الوطني وتضحياتهم وصمودهم الأسطوري في بيروت وفي الانتفاضتين، لم تستطع أن تخترق حجب الهزيمة، فكانوا آخر حراس الفكرة التي تتعرض اليوم، أي بعد أوسلو وفشل الانتفاضتين والانقسام والضياع، لامتحان الاستيطان الكولونيالي الزاحف الذي قد يكون الامتحان الأقسى في تاريخها.

في الذكرى الخامسة والأربعين للهزيمة يقرأ فادي بردويل في مقالته: "الانعطاف نحو الداخل: بروز إشكالية المجتمع بعد هزيمة ١٩٦٧ وتحولاتها"، نصوصاً لياسين الحافظ وصادق جلال العظم وإدوارد سعيد وأدونيس وحسين مروة ووضاح شرارة، مقدماً قراءة نقدية لمرحلة لا تزال تجرجر أسئلتها على الواقع العربي الراهن.

غير أن القراءة الفلسطينية الملموسة للهزيمة الحزيرانية يجب ألّا تهمل الواقع الذي تفرضه إسرائيل بقوة الاحتلال على الأرض الفلسطينية في الضفة الغربية، عبر استيطان متوحش يقوم عملياً بتحويل فلسطين إلى مجموعة من المعازل، فارضاً سياسة تمييز عنصري سافرة، تطيح باحتمالات ولادة دولة فلسطينية مستقلة، وتقوم بعملية تطهير عرقي منظمة ومتمادية.

ملف الاستعمار الاستيطاني للضفة يتضمن ثلاث دراسات: نظمي الجعبة: "الاستيطان

الكولونيالي في الضفة الغربية والقدس: قراءة في أبعاد وأشكال السيطرة على الأرض"، وأمل جمّال: "مصادر قوة المستوطنين اليهود في الأراضي الفلسطينية المحتلة منذ سنة ١٩٦٧"، وإيلان بابه: "المستوطنات اليهودية في الضفة الغربية: الاحتلال والتطهير العرقي بوسائل أُخرى"، وتقرير لأنطوان شلحت: "جماعات 'جباية الثمن' الاستيطانية: سيف للجيش الإسرائيلي أم عليه؟" وهذا الملف يدق جرس الإنذار بأن فلسطين اليوم تعيش نكبتها الثانية التي ربما تكون أكثر وحشية من نكبتها الأولى في سنة ١٩٤٨.

يحلل هذا الملف وقائع الاستيطان وخططه وآلياته، ويرسم صورة قاتمة لمستقبل الأراضي الفلسطينية المحتلة وللواقع الأسود الذي تعيشه مدينة القدس التي تختنق بالحصار الاستيطاني، ويربط آليات هذا الاستيطان بالمشروع الصهيوني الأساسي الذي بنى دولته بالمستعمرات الاستيطانية التي جعلت من الأبراج والأسوار عنواناً لمشروع نفي سكان البلد الأصليين.

الرد على الهزيمة الحزيرانية يبدأ هنا، أي في مقاومة الاحتلال، وبناء مناخ عربي ديمقراطي يتصدى للتوسعية الإسرائيلية، ويوقف علامات النكبة التي تحتل الفضاءين الفلسطيني والعربي.

يُفتتح العدد بمدخلين، فيكتب خليل شاهين عن ملهاة دبلوماسية الرسائل، ويكتب الأكاديمي روبن كيلي رسالة إلى "مجموعة القيادة الطليعية" (GIV) المقربة من "أيباك"، محللاً طبيعة نظام الفصل العنصري في فلسطين.

وفي باب مقالات ننشر إلى جانب مقالة فادي بردويل بحث ساري حنفي وجاد شعبان وكارين سيفيرت: "الإقصاء الاجتماعي للاجئين الفلسطينيين في لبنان: تأملات في الآليات التي تعزز فقرهم الدائم"، ومقالة فيصل سلطان عن معرض الفنانة منى السعودي "تحية إلى محمود درويش".

وفي الذاكرة نستعيد المناضل والمثقف، المصري المولد والفلسطيني الانتماء، الدكتور محجوب عمر (رؤوف نظمي)، الذي غيّبه الموت في ١٧ آذار / مارس ٢٠١٢، بعد عمر مليء بالتضحية والعطاء.

سيلاحظ القارىء أن أسماء أعضاء مجلس التحرير غابت عن هذا العدد، وهذا يعود الى قرار بإعادة تشكيل مجلس تحرير استشاري سنرفده بأسماء جديدة وطاقات شابة، وسيبدأ مجلس التحرير الجديد عمله مع العدد المقبل خريف سنة ٢٠١٢. ■

الياس خوري